

التفسير اللغوي للقرآن في معجم لسان العرب لابن منظور

الأستاذ : مالك بوعمرة سونة

كلية الآداب واللغات

جامعة سعد دحلب - البليدة 2

مدخل :

يعد لسان العرب لابن منظور من أجمع المعاجم التي ألفت على مدار حركة التأليف ، إذ أجمع المؤرخون على أن مؤلفه كان محدثاً فقيها عالماً بال نحو واللغة والتاريخ ، كما أجمعوا أن المؤلف جمع ما ضمته كتب السابقين من قبله ، حتى ادعى محققوه في مقدمته أنه يغني عن سائر الكتب المؤلفة قبله ولا يغني سائرها عنه⁽¹⁾ ، لأنه أضحت كتابة لغة و تفسير وتاريخ وأدب .

وليس المقام مقام حديث عن ابن منظور ولا عن كتابه ، فذلك أمر يطول وله محل غير هذا ، أما هذا المحل فهو للحديث عن اعتماد ابن منظور على استعمالات لغوية مختلفة للوصول إلى معاني كثير من الآيات القرآنية بكيفية تبرز العلاقة التكاملية الكائنة بين اللغة والتفسير .

ومن النصوص المؤكدة على عمق العلاقة الموجودة بين اللغة والتفسير وتبين مكانة الآثار عموماً والقرآن خصوصاً في كتاب اللسان قول ابن منظور في المقدمة :

" وقصدت توشيه بجليل الأخبار وجميل الآثار ، مضافاً إلى ما فيه من آيات القرآن الكريم ، والكلام على معجزات الذكر الحكيم ، ليتحلى بترصيع دررها عَقْدُه ، ويكون على مدار الآيات والأخبار والآثار والأمثال والأشعار حله وعَقْدُه " "(2).

وذكر بعد ذلك بقليل ما يدل على قيمة اللغة في التفسير فقال : " فإني لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللغة النبوية ، وضبط فضلها ، إذ عليها مدار أحكام الكتاب العزيز والسنة النبوية " ⁽³⁾.

وقد اطلعت على الكتاب اطلاعا شاملا واستخرجت جملة مهمة من المباحث اللغوية التي لها علاقة بتفسير القرآن ويمكن أن أضعها في النقاط الآتية :

أولا ♦ العلاقة بين التفسير واللغة في كتاب لسان العرب :

لقد تنوّعت علاقة اللغة بالتفسير في اللسان واتخذت أشكالاً مختلفة ، فأحياناً تكون علاقة تكامل وتدخل ؛ فيفيد التفسيرُ اللغةَ ويستفيدُ منها ، وأحياناً قليلة تكون علاقة اختلاف وتعارض .

ولقد درج اللغويون على التفرقة بين أقوال اللغويين وأقوال أهل التفسير وكأنهما شيئاً مختلفين ، لكن هذا لا يمنع أنهم متى ما وجدوا التفسير موافقاً للغة فإنهم يقولون به ويختارونه ، وقد التزم ابن منظور هذا الأمر إلى حد بعيد ، فتراء أحياناً يعطي للمعنى التفسيري قوة وسداداً ويشهد به على صحة الوجه اللغوية ، وهذا ما سميت بالتدخل والتكامل ، وتراء أحياناً أخرى يقوم بالعكس ، وهو ما نعْتُه بالاختلاف والتعارض ، وبيان ذلك يكون كالتالي :

- التداخل والتكميل بين اللغة والتفسير في لسان العرب :

قد يحكم بسداد اللغة اعتماداً على مذاهب المفسرين ، ففي قوله تعالى [الذين آمنوا وعملوا الصالحات طُوبى لهم وحُسْنٌ مَآبٌ] ⁽⁴⁾ ذكر مجموعة تفاسير خلاصتها أن "طوبى" اسم شجر في الجنة ، وحكي عن سيبويه أنها للدعاء ونقل عن الزجاج أن معناها العيش الطيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ثم قرر أن كل ما روي في التفسير يسدد قول النحويين إنها فعلٌ من الطيب ⁽⁵⁾.

بل قد يصرح باعتماد أهل اللغة في كلمة بعينها على أهل التفسير ، ومن ذلك أنه فسر التَّفَثَ بأنه تَفْ الشَّعَرُ وَقَصُ الْأَظْفارِ وَتَكُبُ كُلُّ مَا يَحْرُمُ عَلَى

المُحرّم ونقل عن الزجاج أنَّ أهْلَ اللِّغَةِ لَا يَعْرِفُونَ التَّقْتَأْتَأَ مِنَ التَّفْسِيرِ⁽⁶⁾ ، كما نقل قول المفسرين في معنى السَّكَرِ من قوله تعالى [وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا ...]⁽⁷⁾ وهو الخلُّ واعترف أنه شيء لا يعرفه أهل اللغة⁽⁸⁾ .

وربما لَمَّا لَمَحَ فِي بَعْضِ أَوْجَهِ التَّفْسِيرِ مَا قَدْ يَثَارُ مِنْ إِشْكَالٍ فَتَجَدُّهُ يَبْيَنُ أَنَّهُ مُوَافِقٌ لِلْأَوْجَهِ الصَّحِيحَةِ فِي الْلِّغَةِ ، فَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى [وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ...]⁽⁹⁾ نَقْلٌ عَنِ الزَّجَاجِ قَوْلُهُ : "قِيلَ فِي التَّفْسِيرِ إِنَّهُمَا كَانَا لَوْحَيْنِ" ، وَلَأَنَّهُ رَبِّمَا اسْتَشَكَّلَ كَوْنُ الْأَلْوَاحِ جَمْعًا وَاللَّوْحَيْنِ مُتَّسِئًّا فَقَدْ اعْتَمَدَ عَلَى جَوابِ الزَّجَاجِ الْلُّغُوِيِّ وَهُوَ قَوْلُهُ : "وَيَجُوزُ فِي الْلِّغَةِ أَنْ يَقَالَ لِلَّوْحَيْنِ أَلْوَاحٌ" أَيْ جَوَازُ أَنْ يَكُونَا أَلْشِينَ أَقْلَ جَمْعًا⁽¹⁰⁾ .

وَإِذَا ظَهَرَ فِي الْمَعْنَى إِشْكَالٌ فَإِنَّهُ يَلْجَأُ إِلَى الْلِّغَةِ لِحْلِهِ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى [وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ...]⁽¹¹⁾ إِذْ ظَاهَرَ نَفِي الرَّمْيِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَنَّ النَّصُوصَ دَالَّةٌ عَلَى إِثْبَاتِهِ ، وَقَدْ نَقْلَ عَنِ الزَّجَاجِ الْجَوابَ عَلَيْهِ وَهُوَ أَنَّ الْعَرَبَ حُوتَبَتِ فِي الْقُرْآنِ بِمَا تَعْقُلُ ، وَالْمَعْنَى "لَمْ يُصِبْ رَمِيُّكَ ذَلِكَ وَيَبْلُغُ ذَلِكَ الْمَبْلَغُ بِلِ إِنَّمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ تَوْلِي ذَلِكَ" أَيْ كَائِنٌ فِي حُكْمِ الْمَعْدُومِ إِذَا مَا قَوَرَنَ بِرَمِيِّ اللَّهِ تَعَالَى ، وَهُوَ أَسْلُوبٌ عَرَبِيٌّ مَعْرُوفٌ⁽¹²⁾ .

وَمِنْ تَوْظِيفِهِ الْلِّغَةِ لِحْلِ إِشْكَالَاتِ الْمَعْنَى مَا نَقْلَهُ عَنِ ابْنِ الْأَنْبَارِيِّ مِنْ أَنَّ الْخَلْقَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ عَلَى وَجْهَيْنِ ، أَحَدُهُمَا إِلَيْشَاءُ عَلَى مَثَلِ أَبْدُعَهُ وَالْآخَرُ التَّقْدِيرُ ، وَعَلَى الثَّانِي يَتَخَرَّجُ قَوْلُهُ تَعَالَى ... فَتَبَارِكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ⁽¹³⁾ فَمَعْنَاهُ أَحْسَنُ الْمُقْدَرِينَ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى [إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَحْلُقُونَ إِفْكًا]⁽¹⁴⁾ أَيْ تُقْدِرُونَ كَذِبًا ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى ... إِنِّي أَحْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ ...]⁽¹⁵⁾ فَخَلَقَهُ تَقْدِيرُهِ وَلَمْ يَرِدْ أَنَّهُ يُحَدِّثُ مَعْدُومًا⁽¹⁶⁾ ، وَهَذَا مَا يُجِيبُ عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ يَسْتَشَكَّلُ نَسْبَةُ الْخَلْقِ لِلْمُخْلوقِ مَعَ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ ... أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ...⁽¹⁷⁾

وإذا وصل الأمر إلى إنكار النحويين لبعض التفاسير الصحيحة فإنه لا يجد غضاضة في الرد عليهم ، ومثال ذلك إنكارهم تفسير ابن عباس رضي الله عنهما لقول الله تعالى "عَمْرُكَ" بأنه لحياتك وقولهم إن معناه "لدينك" بدليل قول عمر بن أبي ربيعة :

أَيُّهَا الْمُنْكِحُ الْثَّرِيَا سُهْيَلًا
عَمْرَكَ اللَّهَ كَيْفَ يَجْتَمِعُانِ؟

فقد نقل عن بعض أهل اللغة أنفسهم ما يخالفه فقال :

قال الجوهرى ... معنى "عَمْرُ اللَّه" وعَمْرُ اللَّه أَحْلِفُ ببقاء الله ودوامه ، وإذا قلت عَمْرَكَ اللَّه فَكَأَنَّكَ قلت بِتَعْمِيرِكَ اللَّه أَيْ بِإِقْرَارِكَ لَه بِالبَقَاء ، وقول عمر بن أبي ربيعة عَمْرَكَ اللَّه كَيْفَ يَجْتَمِعُانِ ، ي يريد سَأَلَتُ اللَّه أَن يُطِيلْ عُمْرَكَ لَأَنَّه لَم يُرِدَ الْقَسْمَ بِذَلِك (١٨)

ومن أبرز صور التكامل بين اللغة والتفسير أنه اعتمد اللغة في كثير من الأقوال التفسيرية ، ففي قوله تعالى [هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها ...] (١٩) ذكر أن الفراء فسر المناكب بالجوانب وأن الزجاج فسرها بالجبال وقال فيها غيرهم إنها الطرق ثم نقل اختيار الأزهري لتفسير الزجاج مستعينا بدلاله الكلمة أخرى وهي [ذلولا] والتي تفيد في اللغة التسهيل ، وأبلغ التسهيل ما كان في الجبال لصعوبة السير فيها (٢٠) .

كما اعتمد كلام العرب في قوله تعالى [وشجرة تخرج من طور سيناء ...] (٢١) فقال الطور في كلام العرب الجبل (٢٢) .

وربما استعمل اللغة للدلالة على ظهور تفسير بعينه ، فقد ذكر في تفسير الكرسي من قوله تعالى [... وسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ...] (٢٣) أقوالا شتى وقال : وروي عن عطاء أنه قال ما السموات والأرض في الكرسي إلا كحَلْقة في أرض فَلَة ، قال الزجاج : وهذا القول بَيْنَ لأنَّ الذي نعرفه من الكرسي في اللغة شيء الذي يُعْتمَدُ عليه ويُجْلَسُ عليه (٢٤) ولهذا أمثلة في الكتاب . (٢٥)



- الاختلاف والتعارض بين اللغة والتفسير في لسان العرب :

من مظاهر ذلك أنه قد ينقل معنى الكلمة من أقوال المفسرين ويربطه بالمعنى اللغوي ليخلص بأن الأخير أوسع ، فقد نقل عن أهل التفسير أن القارعة في قوله تعالى [وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثُبِيْبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةً...]⁽²⁶⁾ سريّة من سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بعد ذلك : ومعنى القارعة في اللغة النازلة الشديدة تنزل عليهم بأمر عظيم⁽²⁷⁾.

وينقل أحيانا عن المفسرين ما يدل على أن الكلمة مرادفة لاختها ، ثم يبيّن أن تفسير اللغويين أكثر تفصيلا ويصرح بأنه أصوب قيلا ، فقد قال في قوله تعالى [لَنْ يَسْتَكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقْرِبُونَ...]⁽²⁸⁾ : والمفسرون يقولون الاستكفار والاستكبار واحد ، والاستكبار أن يتكبر ويتعظّم والاستكاف ما قلنا⁽²⁹⁾.

وقد يوظّف اللغة لاستخراج معنى إضافياً ربما لا يظهر في التفسير ، ومن ذلك نقله عن سيبويه أن التضعييف في "غلقت" من قوله تعالى [... وغلقت الأبواب ...]⁽³⁰⁾ يدل على التكثير ، ومثله أغفلت وهو عربي جيد⁽³¹⁾.

كما قد يختار معنى لغويًا بعيداً يولد معنى تفسيرياً غير مسبوق ، ففي قوله تعالى [إِنَا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجَبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلُنَا وَأَشْفَقْنَاهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ...]⁽³²⁾ قال: قال الزجاج : معنى يحملنها يحنّها ... وكل من خان الأمانة فقد حملها ، وكذلك كل من أثّم فقد حمل الإثم ومنه قوله تعالى [وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ...]⁽³³⁾ ، فأعلم الله تعالى أن من باء بالإثم يسمى حاملاً للإثم ، والسموات والأرض أبین أن يحملنها يعني أدينهما .. قال: وتصديق ذلك ما يتلو هذا من قوله [لِيَعْذَبَ اللَّهُ الْمَنَافِقُونَ وَالْمَنَافِقَاتُ ...]⁽³⁴⁾ إلى آخرها .

ثم ينقل عن الأزهري قوله : وما علمت أحداً شرحاً من تفسير هذه الآية ما شرحه أبو إسحاق ، قال: ومما يؤيد قوله في حمل الأمانة إنها خيانتها وترك أدائها قول الشاعر :

إذا أنت لم تبرح ثؤدي أمانة
وتحمل أخرى أفرحتك الودائع
أراد بقوله وتحمل أخرى أي تخونها ولا تؤديها ، يدل على ذلك قوله: أفرحتك
الودائع ، أي أنقلتك
الأمانات التي تخونها ولا تؤديها⁽³⁵⁾.

ومن الاستعمالات المعنوية غير المعروفة في قوله تعالى [لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبala ولا وضعوا خلالكم يغونكم الفتة ...]⁽³⁶⁾؛ ما نقله عن الزجاج أنه قال : أوضعت في السيئ إذا أسرعت فيه ، المعنى : و لا سرعا فيما يخل بكم⁽³⁷⁾ ، مع أن الأصل في "الخلال" أنه جمع "خل" ، وهو الفرجة بين الشيئين. ومنه قوله تعالى : [... فترى الودق يخرج من خلائه ...]⁽³⁸⁾ ، ويستعار في المعاني فيقال : في هذا الأمر خل⁽³⁹⁾ ، ومع أن أغلب أهل التفسير على أن المراد لوضعوا ركائبهم وسطركم أو لفروا من أشائركم كما ذكر هو عن أبي الهيثم وعن ابن الأعرابي وهما من أهل اللغة ؛ إلا أنه اختار الملمح المعنوي الإضافي الذي في قول الزجاج وهو لأسرعوا فيما يلحق بكم الخل⁽⁴⁰⁾.

وقد يستغل الصيغ اللغوية لاستفادة تفسير في الآية ربما وقع فيه اختلاف ، فيجعلها فاصلة في اختيار القول الأصوب ، ومنه قوله تعالى في الأشهر [... منها أربعة حرم فلا تظلموا فيهن أنفسكم ...]⁽⁴¹⁾ فقد قال فيه : قوله "منها" يريد الكثير ثم قال "فلا تظلموا فيهن أنفسكم" لما كانت قليلة⁽⁴²⁾ ، وهو بهذا الأسلوب المختصر و المركز يرجح أن المراد ب "فلا تظلموا فيهن أنفسكم" الأشهر الأربعـة الحرم وليس الإثـا عشر كما ذهـبت إلـيـه طـائـفة ، وهو يعتمد في ذلك على صيغة "فيهن" وهي للقليل ، أما فيها فهي للكثير⁽⁴³⁾.

ولا يكتفي في الاعتماد على اللغة بهذا القدر ، بل قد يذكر قوله من أقوال أئمة التفسير للأية لكنه يرفضه بشدة معتمدا على اللغة ، ومن ذلك رده الشديد تفسير ابن عباس ومجاهد وغيرهما للوزر في قوله تعالى [ووضعنا عنك وزرك ، الذي أنقض ظهرك] ⁽⁴⁾ ⁴ بأنه الذنب التي أثقلت ظهر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنها لو كانت أحمالاً لسمع لها نقيض وهو الصوت وقال :

قال محمد بن المكرّم عفا الله عنه ⁽⁴⁾ ⁵ : " هذا القول فيه تسمُّح في اللفظ وإغلاظ في النطق " ، إلى أن قال " ومن أين للمفسّر لفظ المغفرة هنا ؟ وإنما نص التلاوة ووضعنا ، وتفسير الوزر هنا بالحمل الثقيل وهو الأصل في اللغة أولى من تفسيره بما يُخْبِر عنه بالمغفرة ولا ذكر لها في السورة " ، وبين أن المراد من الوزر هُوَ هُم الدعوة والإيمان وذنوب قومه وقال إن قوله تعالى [فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفًا] ⁽⁴⁾ ⁶ يؤكّد ذلك ⁽⁴⁾ ⁷ .

ثانياً ♦ أصل اشتقاق الكلمة وتحول دلالتها

في اللغة العربية ميزة مهمة ، وهي أن كلماتها تشتق من أصول محددة في الغالب ، وكثيراً ما لا يتعدى أصل الكلمة المعنى الواحد ، لكن العرب يستعملونها استعمالاً متعدداً يعطيها معانٍ مختلفة ، و تلك المعاني وإن كانت تمت لأصولها بصلة قوية : إلا أنها تتميز عنها بدلارات جديرة بأن تكسبها قدراً كبيراً من الاستقلال ، وقد تميز معجم لسان العرب بالاهتمام البالغ بهذه المسألة ، وتناولها في مواطن كثيرة ، ومن أمثلة ذلك ما يأتي :

1 ♦ فسر العنت بالهلاك وقال : قال ابن الأنجاري: أَصْلُ التَّعْنُتِ التَّشْدِيدُ فِإِذَا قالتُ الْعَرْبُ فَلَانَ يَتَعَنَّتُ فَلَانَا وَيُعْنِتُهُ فَمَرَادُهُمْ يُشَدَّدُ عَلَيْهِ وَيُلَزِّمُهُ بِمَا يَصُعبُ عَلَيْهِ أَدْأُوهُ ، قال ثم ثُقِلَتْ إِلَى مَعْنَى الْهَلَكَ ⁽⁴⁾ ⁸ .

2 ♦ وفي قوله تعالى [... مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينِ ...]⁽⁴⁾⁹ قال : وأصل ذلك من الصبّ... وسمي الزنا سفاحاً لأنّه كان عن غير عقد ، كأنّه بمنزلة الماء المسُفوح الذي لا يحبسه شيء⁽⁵⁾⁰.

3 ♦ وفي قوله تعالى [وهديناه النجدين]⁽⁵⁾¹ قال : النجد المرتفع من الأرض ، والمعنى ألم نعرفه طريق الخير والشر ببيان الطريقين العاليين ؟⁽⁵⁾²

4 ♦ وقال في قوله تعالى [... ولا تزد الظالمين إلّا ثَبَارًا]⁽⁵⁾³ : قال الزجاج : معناه إلّا هلاكاً ولذلك سمي كل مُكَسَّرٍ ثَبَارًا ، وقال في قوله عز وجل [... وَكُلُّا ثَبَرْنَا تَثِيرًا]⁽⁵⁾⁴ : التبیر التدمير وكل شيء كسرته وفتنته فقد ثَبَرْتَه⁽⁵⁾⁵.

5 ♦ وفي قوله تعالى [... مال هذا الكتاب لا يُغادرُ صغيرة ولا كَبِيرَةٍ إلّا أحصاها ...]⁽⁵⁾⁶ قال : أي لا يترك ، والغدير القطعة من الماء يُغادرُها السيل أي يتركها ، وقيل إنه من الغدر لأنّه يَحُونُ ورَادَه فينقطع عنهم عند شدة حاجتهم إليه.⁽⁵⁾⁷

6 ♦ وقال في قوله تعالى [... فارجع البصر هل ترى من فُطُورٍ]⁽⁵⁾⁸ أصل الفطر الشق ومنه قوله تعالى [إذا السماء افطرت]⁽⁵⁾⁹ أي انشقت ، وفي الحديث قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تَفَطَّرَتْ قدماه⁽⁶⁾⁰ أي انشقتا وأنشد ثعلب :

شَقَقَتِ الْقَلْبَ ثُمَّ ذَرَرْتِ فِيهِ هَوَالِكَ فَلِيمَ فَالثَّامِ الْفُطُورُ ...⁽⁶⁾¹

7 ♦ وفي قوله تعالى [ويوم تقوم الساعة يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ]⁽⁶⁾² قال : أَبْلَسَ الرَّجُل قُطْعَ بِهِ وسكت ، وأَبْلَسَ أي يَئِسَ وَئِمَّ ، وإبليس لعنه الله مشتق منه لأنّه أَبْلَسَ من رحمة الله.⁽⁶⁾³

8 ♦ وفسر قوله تعالى [... فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ]⁽⁶⁾⁴ بقوله : إذا عمل الرجل عملاً ثم أَفْسَدَه ، وقيل : بطل ثوابه ، وهو من قولهم حَبَطَ الدَّابَةُ حَبَطَا بالتحريك ؛ إذا أَصَابَتْ مَرْعِيًّا طَيِّبًا فَأَفْرَطَتْ فِي الْأَكْلِ حَتَّى تَتَفَخَّخَ فَتَمُوتَ⁽⁶⁾⁵.

9 ♦ وفي قوله تعالى [... وجئنا بِيَضْاعَةٍ مُّزْجَاةٍ ...]⁽⁶⁾ قال : **البِيَضَاوَةُ السُّلْعَةُ** وأصلها من **القطع والجزء** ، قيل القطعة من المال الذي يُتَجَرُ فيه ، وقيل البَضْع وهو **القطع** ، وقيل **البِيَضَاوَةُ جُزْءٌ مِّن أَجْزَاءِ الْمَالِ**⁽⁷⁾ .

10 ♦ وقد يفسر الكلمة تفسيرا موافقا للأصل اللغوي ، ثم يذكر الكلمة نفسها في موضع آخر بمعنى غير المعنى الأول ؛ مبينا أن لا تناقض بين الأصلين بل كلاهما حسن ، فقد قال في قوله تعالى [**وَأَرْلَفْتَ الْجَنَّةَ لِلْمُتَقِنِ**]⁽⁸⁾ : أي قرِيتْ ، وأصل **الزُّلْفَى** في كلام العرب القربي ، والمُزْدَفَةُ موضع بمكة قيل سميته بذلك لاقتراب الناس إلى مَنْيَ بعد الإفاضة من عَرَفات ، ومن ذلك قوله عز وجل [**وَأَرْلَفْنَا ثُمَّ الْآخَرِينَ**]⁽⁹⁾ أي جمعنا ، وقيل قرَنَا الآخرين من الغَرَقِ وهم أصحاب فرعون ، وكلاهما حَسَنَ جميل ، لأن جَمْعَهُمْ تَقْرِيبٌ بعضهم من بعض ومن ذلك سميته مزدلفة جَمْعاً⁽⁷⁾ .

11 ♦ ويعمد أحيانا إلى تبيين أهمية معرفة الاشتتقاق لأنه يفيد في إظهار المعنى مع الأمان من اللبس ، ومن ذلك أنه نقل عن الفراء في قوله تعالى [**يَسْقُطُونَكُمْ** ، **قُلَّ اللَّهُ يَفْتَيْكُمْ فِي الْكَلَالَةِ ...**]⁽¹⁰⁾ أن الكلالة من القرابة ما خلا الوالد والولد ، سُمِوا **كَلَالَة** لاستدارتهم بنسب الميت الأقرب فالأقرب من **تَكَلَّهُ** النسب إذا استدار به ، قال وسمعته مرة يقول : **الكَلَالَةُ** من سقط عنه طَرَفَاه وهما أبوه وولده فصار **كَلَالَةً** **وَكَلَالَةً** أي عِيالاً على الأصل .

ثم قال : وهذا مشتق من جهة العربية موافق للتزييل والسنّة ويجب على أهل العلم معرفته لئلا يتبس عليهم ما يحتاجون إليه منه .⁽¹¹⁾

وإذا كان أحيانا يفسر الكلمة القرآنية ويبين الأصل الذي أخذت منه فإنه في أحيانا أخرى يبين أصول كلمات أخرى غير الكلمة المقصودة⁽¹²⁾ ، ومن ذلك أنه قال في قوله تعالى [ولن ترضي عنك اليهود ولا النصارى حتى تشبع مِلْتُهُمْ ...]⁽¹³⁾ . قال أبو إسحاق : **الملة** في اللغة سُنَّتُهُمْ وطريقهم ، ومن هذا أخذ

المَلَهُ أَيُّ الْمَوْضِعِ الَّذِي يَخْتَبِرُ فِيهِ لَأَنَّهُ يَؤْتَرُ فِي مَكَانِهِ كَمَا يَؤْتَرُ فِي الطَّرِيقِ ، وَكَلَامُ الْعَرَبِ إِذَا اتَّفَقَ لِفَظُهُ فَأَكْثَرُهُ مُشْتَقٌ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ . وَبَيْنَ أَنَّ الْأَزْهَرِيَّ أَيَّدَ ذَلِكَ الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ : وَمَا يَؤْيدُ قَوْلَهُ - أَيُّ قَوْلُ الزَّجَاجِ - قَوْلُهُمْ : مُمْلُأً أَيُّ مَسْلُوكٍ مَعْلُومٍ .⁽⁷⁵⁾

وَمِنْ فَرْطِ اهْتِمَامِهِ بِرِدِ الْكَلِمَاتِ إِلَى أَصْوَلِهَا الْمَشْتَقَةِ مِنْهَا فَقَدْ يَصِلُّ بِهِ الْأَمْرُ أَحْيَاً إِلَى تَفْسِيرِ الْكَلِمةِ خَلَافًا لِظَاهِرِهَا اعْتِمَادًا عَلَى أَصْلِهَا فِي الْلُّغَةِ ، فَقَدْ فَسَرَ الْأَقْلَامَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى [وَمَا كُنْتَ لِدِيهِمْ إِذْ يُلْقَوْنَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيمَ]⁽⁷⁶⁾ ... بَأَنَّهَا قَدَاحِمُهُمْ وَسَهَامُهُمْ ، وَقَالَ إِنَّ السَّهَمَ إِنَّمَا سَمِيَّ قَلْمَانِ لِأَنَّهُ يُقْلِمُ أَيِّ بُرِيٍّ ، وَكُلُّ مَا قَطَعَتْ مِنْهُ شَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ فَقَدْ قَلَمْتُهُ ، وَقَلْمَانُ الْكِتَابَةِ إِنَّمَا سَمِيَّ قَلَمَانِ لِأَنَّهُ قَلَمَ مَرَةً بَعْدَ مَرَةٍ⁽⁷⁷⁾ ، وَمِنْ هَذَا قِيلَ : قَلَمْتُ أَطْفَارِي وَقَلَمْتُ الشَّيْءَ بِرَيْتِهِ⁽⁷⁸⁾ .

ثالثاً ♦ التَّفْرِقَةُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ

وَلِأَنَّهُ كَانَ يَرْكَزُ عَلَى الْمَعْنَى الدَّقِيقِ الَّذِي اسْتَقَتْ مِنْهُ الْكَلِمةُ فَإِنَّهُ كَانَ يَفْرَقُ بَيْنَ كُلَّ كَلِمَتَيْنِ يَتَوَهَّمُ أَنَّهُمَا مُتَرَادِفَتَيْنِ ، أَوْ قِيلَ فِي الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا قَوْلًا لِمَ يَرْتَضِهِ ، وَمِنْ أَمْثَلَةِ ذَلِكَ مَا يَأْتِي :

1 ♦ [مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءِ صَدِيدٍ]⁽⁷⁹⁾ أَيْ بَيْنَ يَدِيهِ ، وَقَالَ الزَّجَاجُ : وَرَاءِ يَكُونُ لِخَلْفٍ وَلِقُدَّامٍ ، وَمَعْنَاهَا مَا تَوَارَى عَنْكَ أَيْ مَا اسْتَتَرَ عَنْكَ ، قَالَ وَلَيْسَ مِنَ الْأَضَادَ كَمَا زَعَمَ بَعْضُ أَهْلِ الْلُّغَةِ ، وَأَمَّا أَمَامُهُ فَلَا يَكُونُ إِلَّا قُدَّامًا أَبَدًا ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى [وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا]⁽⁸⁰⁾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَ أَمَامُهُمْ .⁽⁸¹⁾

2 ♦ وَقَدْ يُذَكِّرُ لِلْعُلَمَاءِ مَعْنَيَيْنِ فِي الْكَلِمةِ ثُمَّ يَضِيفُ إِلَيْهِمَا مَعَانِيًّا أُخْرَى ، فَنَحْنُ قَوْلُهُ تَعَالَى [سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضَيْدًا]⁽⁸²⁾ قَالَ : قِيلَ عَوْنَا وَقِيلَ أَعْدَاءُ ثُمَّ ذُكْرُ عَنْ أَبِي عُمَرِ بْنِ الْعَلَاءِ مَعَانِيًّا أُخْرَى لِلضَّدِّ فَقَالَ : قَالَ ابْنُ

السكيت حكى لنا أبو عمرو الصد مثُلُ الشيء والضد خلافه والضد الملوء .
(83)

3 ❖ [وَمِنَ الْلَّيْلِ فَتَهَجَّدُ بِهِ نَاهِلَةً لَكَ ...] ^(84) قال : تَهَجَّدَ : أَيْ نَامَ لِيَلًا أو سَهْرًا ،
وَهُوَ مِنَ الْأَنْذَادِ وَمِنْهُ قِيلَ لِصَلَاةِ الْلَّيْلِ التَّهَجُّدُ وَالتَّهْجِيدُ التَّشْوِيمُ . ^(85)

4 ❖ [يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنِي ...] ^(86) قال : الْعَرَضُ بِالْتَّحْرِيكِ مَتَاعُ الدُّنْيَا
وَحُطَامُهَا ، وَأَمَّا الْعَرَضُ بِالسَّكُونِ فَمَا خَالِفُ الْثَّمَنَيْنِ الدِّرَاهِمَ وَالدِّنَارِيْنِ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا
الْدُنْيَا وَأَثَاثِهَا وَجَمْعِهِ عَرَوْضٌ ، فَكُلُّ عَرَضٍ عَرَضٌ وَلَيْسَ كُلُّ عَرَضٍ عَرَضاً .
(87)

5 ❖ [وَهَدَائِقَ غُلْبَاً] ^(88) هي في معنى الاستداره ، وكُلُّ بُستانٍ كان عليه
حائطٌ فهو حديقة ، وما لم يكن عليه حائطٌ لم يُقل له حديقة . ^(89)

6 ❖ [... مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْكُمْ يَرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ...] ^(90) يكون له
الْفَضْلُ عَلَيْكُمْ في الْقَدْرِ وَالْمَنْزَلَةِ وَلَيْسَ مِنَ التَّفَضُّلِ الَّذِي هُوَ بِمَعْنَى الْإِفْضَالِ
وَالْتَّطْوِيلِ . ^(91)

7 ❖ [فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ ...] ^(92) لا يكونُ الْخَلْفُ إِلَّا مِنَ
الْأَخْيَارِ قَرْنَاً كَانَ أَوْ وَلَدًا ، ولا يَكُونُ الْخَلْفُ إِلَّا مِنَ الْأَشْرَارِ ^(93).

8 ❖ [وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمَ رَبِّ اجْعُلْ هَذَا الْبَلْدَ آمِنًا وَاجْتَبِنِي وَبَنِي أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ]
(94) ما كانَ مِنْ غَيْرِ صُورَةٍ فَهُوَ وَئِنْ ؛ فَإِذَا كَانَ لَهُ صُورَةٌ فَهُوَ صَنَمٌ ، وَقِيلَ
الْوَئِنَّ مَا كَانَ لَهُ جُنَاحٌ مِنْ خَشْبٍ أَوْ حَجَرٍ أَوْ فَضَّةٍ وَالصِّنْمُ الصُّورَةُ بِلَا جُنَاحٍ ، وَمِنْ
الْعَرَبِ مِنْ جَعَلَ الْوَئِنَّ الْمَنْصُوبَ صَنَمًا .

9 ❖ وَإِذَا كَانَ الأَصْلُ أَنَّهُ يُعْطِي مَعْنَيَيْنَ لِكَلْمَتَيْنِ ، فَإِنَّهُ قَدْ يُذَكِّرُ الْكَلْمَتَيْنِ
الْمُخْلَفَتَيْنِ وَيَقُولُ إِنَّ مَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى لَوْكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً
وَسَطَاً ...] ^(95) فقد نُقلَ عن الزجاجِ في الوسطِ قولانَ ، عَدْلًا وَخِيَارًا وَقَالَ إِنَّهُمَا
وَإِنْ اخْتَلَفَا لِفَظَا فَمَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ لَأَنَّ الْعَدْلَ خَيْرٌ وَالْخِيَارُ عَدْلٌ .

وقال : وهذا يُعرف حقيقته أَهْلُ اللِّغَةِ ، لأنَّ العَرَبَ تَسْتَعْمِلُ التَّمثِيلَ كَثِيرًا فَتُمَثَّلُ الْقَبِيلَةُ بِالوَادِيِّ وَالْقَاعُ وَمَا أَشْبَهُهُ ، فَخَيْرُ الوَادِيِّ وَسَطُهُ فَيُقَالُ هَذَا مِنْ وَسْطِ قَوْمِهِ وَمِنْ وَسْطِ الْوَادِيِّ .⁽⁹⁶⁾

رابعاً ♦ معاني الحروف ودلائلها

لم يهتم ابن منظور في لسان العرب بالتحقيق الدلالي للكلمات والوقف على أوجه الاختلاف بينها فحسب؛ بل تعدى ذلك إلى البحث في دلالات الحروف، وأبرز ما أمكن ملاحظته عنه في هذا الصدد ملمحان اثنان :

الملمح الأول : لا وجود للحرف الزائد في القرآن الكريم .

ظاهر ما يختاره من نقول يوحى بأنه يميل إلى القول بأنه لا وجود للفظ زائد في القرآن لا معنى له⁽⁹⁷⁾ ، ففي قوله تعالى [وَشَجَرَةٌ تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيِّئَةٍ تُثْبَتُ بِالدُّهْنِ ...]⁽⁹⁸⁾ قال : قُرَا تُثْبِتُ الدُّهْنُ ، وأنكر ابن سيدة أن تكون الباء زائدة ، وقال إن معناها تُثْبِتُ مَا تُثْبِتُهُ وَالدُّهْنُ فِيهَا كَمَا تَقُولُ : خَرَجَ زِيدٌ بِثِيَابِهِ ، أَيْ وَثِيَابُهُ عَلَيْهِ ، وَرَكِبَ الْأَمْيَرَ بِسِيفِهِ ، أَيْ وَسِيفَهُ مَعَهُ⁽⁹⁹⁾ ، ولذلك قال في قوله تعالى [وَهُزِّي إِلَيْكَ بِجَدْعِ النَّخْلَةِ ...]⁽¹⁰⁰⁾ أَيْ حَرَّكِي ، والعرب تقول هَزَّهُ وَهَزَّ بِهِ ، قال ابن سيدة : وَإِنَّمَا عَدَاهُ بِالباءِ لَأَنَّ فِي هُزِّيِّهِ مَعْنَى جُرْيٍ .⁽¹⁰¹⁾

الملمح الثاني : إذا كان للحرف معنى ثابت فلا يعني أنه يلازم دائمًا .

وإذا كان يرى أن الحرف لا يمكن أن يوجد فضلة لا معنى له ، فإنه لا يقبل في الحرف كل معانيه ولو كانت مختصة به ، لاسيما إذا كان له أثر في التفسير ، ومن أجل ذلك مال إلى أن الواو في قوله تعالى [فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَانٌ]⁽¹⁰²⁾ تدل على الاختصاص الزائد في النخل والرمان ، ولو أنها في الأصل تعطف جملة على أخرى على سبيل التغاير ؛ الأمر الذي جعل أبا حنيفة يقرر أن الرمان والنخل غير الفاكهة ، وقد نقل ابن منظور كلام الأزهرى الشديد في حق أبي حنيفة دون أن يعقب عليه⁽¹⁰³⁾ ، ومما قاله عنه " وما علمت

أحدا من العرب قال إن النخيل والكرم ثمارها ليست من الفاكهة ، وإنما شذ قول النعمان بن ثابت في هذه المسألة عن أقاويل جماعة فقهاء الأمصار لقلة علمه بكلام العرب وعلم اللغة وتأویل القرآن العربي المبين ، والعرب تذكر الأشياء جملة ثم تُخُصُّ منها شيئاً بالتسمية تببيها على فضلٍ فيه ، قال الله تعالى لمن كان عَدُواً لله ولملائكته ورُسُلِه وجِئْرِيل ومِيكائيل فإن الله عدو للكافرين [١٠٤] ، فمن قال إن جِئْرِيل ومِيكائيل ليسا من الملائكة ... فهو كافر ، ومن قال إن ثمر النخل والرُّمان ليسا فاكهة ... فهو جاهل! وهو خلاف العقول وخلاف لغة العرب" [١٠٥].

خامساً ❖ الاستشهاد بكلام العرب نثرا وشعرا :

ويذكر الآية كدليل على المعنى الذي ذكره ثم يعتصد ذلك بالاستشهاد بكلام العرب نثرا وشعرا ، فمن الأول قوله تعالى [قال إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمانين حججاً ...] [١٠٦] أي : أن تجعل ثوابي أن ترعى عليَّ غنمي ، ومن ذلك قول العرب : آجرك الله أي أثابك الله . [١٠٧] - وقوله تعالى [... وما كان عطاء رَبِّكَ مَحْظُوراً] [١٠٨] أي ممنوعاً ، وقول العرب " لا حِظْارٌ على الأَسْمَاء " يعني أنه لا يُمْنَعُ أحدٌ أن يسمّي بما شاء أو يتسمّ به . [١٠٩].

- وقوله [الذين آمنوا ولم يلپسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمان وهم مهتدون] [١١٠] والظلم الميل عن القصد ، والعرب تقول الزَّمْ هذا الصَّوْبَ ولا ظَلْمٌ عنه ، أي لا تَجْرُ عنده [١١١].

- وذكر في قوله تعالى [لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هُم مِنَ يُصْحِبُونَ] [١١٢] ثلاثة أقوال ، لا يمنعون ويجررون ، لا يصحبون من الله بخير ، يحفظون ، واستشهد على كل قول بشاهد ، وقال في القول الأول : ألا ترى أن العرب يقول أنا لك جار . [١١٣].

أما استشهاده بالشعر فكان يتخد أشكالاً فمن ذلك :

أ- الاستشهاد للمعنى الواحد ببيت واحد :

فقد قال في قوله تعالى [على سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ]^(١٤) : المَوْضُونَةُ المنسوجة أي منسوجة بالدُّرِّ والجوهر

بعضها مُداخِلٌ في بعض ، ودرع مَوْضُونَةُ مضاعفة النسج ، قال الأعشى :

ومن سُجْ داودَ مَوْضُونَةٍ يُساقُ بها الحَيُّ عِيرًا فَعِيرا^(١٥)

وقال في قوله تعالى [...وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا]^(١٦) قال الفراء أي طويلاً والملوان الليل والنهر ، قال الشاعر :

نَهَارٌ وَلَيْلٌ دَائِمٌ مَلَوَاهِمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مَرْءَ يَخْتَفَانِ^(١٧)

وقال في قوله تعالى [لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ]^(١٨) العيش البارد هو الهنيء الطيب ، ومنه قول الشاعر :

فَلَيْلَةُ لَحِمِ الناظِرِينَ يَزِينُهَا شَبَابٌ وَمَخْفُوضٌ مِنَ الْعِيشِ بَارِدٌ^(١٩)

ب- الاستشهاد للمعنيين باليت الواحد .

وربما استشهد ببيت واحد على أكثر من معنى فقد قال في معنى جمماً من قوله تعالى [وَثَجِيْبُونَ الْمَالَ حُبَّاً جَمَّاً]^(٢٠) أي كثيراً ، وقال في اللهم من قوله تعالى [الَّذِينَ يَجْتَبِيْنَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّهُمَّ ...]^(٢١) ألم الرجل من اللهم ، وهو صغار الذنوب واستشهد على المعنيين بقول أبي خراش الهدلي أو أمية :

وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلَمًا ؟^(٢٢).

ج- الاستشهاد للمعنى الواحد بأبيات متعددة .

[فَرَحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعُدِهِمْ خَلَافَ رَسُولِ اللَّهِ ...]^(٢٣) قال ابن بري : " خلاف " في الآية بمعنى بعده ، وأنشد للحرث بن خالد المخزومي :

عَقَبَ الرَّبِيعَ خَلَافَهُمْ فَكَانُوا نَشَطَ الشَّوَاطِبُ بَيْنَهُنَّ حَصِيرَا
قال ، ومثله لمزاحم العقيلي :

وَقَدْ يَفْرُطُ الْجَهْلُ الْفَتَى ثُمَّ يَرْعَوِي خَلَافَ الصَّبَّا لِلْجَاهِلِينَ حُلُومُ

قال ، ومثله للبريق الهدلي :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أَعِيشَ حَلَافَهُمْ
وَأَنْشَدَ لَأَبِي ذُؤْبِ :
فَإِنَّمَا يَعْلَمُ اللَّهُ
مَا يَشَاءُ وَمَا يَشَاءُ
فَمَا أَنْتَ بِرَبِّكَ بِلَامٌ
وَأَنْشَدَ لَآخْرَ :

فَقُلْ لِلَّذِي يَبْقَى حَلَافَ الدِّيَارِ
تَهَيَّأْ لِأُخْرَى مِثْلِهَا فَكَانَ قَدْ⁽¹²⁴⁾
د - ذُكْرُ مُعْنَيِّنِ وَالْاسْتَشْهَادُ لِأَحَدِهِمَا دُونَ الْآخِرِ .

قد ينقل للكلمة القرآنية تفسيرين ، ويستشهد لأحدهما دون الآخر إذا كان سياق الآية لا يدل على المستشهد له ، فقد فسر الخلاق بأنه من الخير ومن الدين ، وفسره في قوله تعالى [فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق]⁽¹²⁵⁾ بالنصيب من الخير.

ثم قال : و الخلاق الدين ، قال ابن بري : الخلاق النصيب المُوفَّر وأنشد لحسان بن ثابت :

فَمَنْ يَكُونُ مِنْهُمْ ذَا خَلَاقَ فَإِنَّهُ
سَيَمْنَعُهُ مِنْ ظُلْمِهِ مَا تَوَكَّدَا⁽¹²⁶⁾
سادساً ♦ لغات العرب

قد يفسر الكلمة ثم يبين أن هذا المعنى مأخوذ من لغة قبيلة معينة من قبائل العرب ، وإن كان المعنى انتقل إلى غيرها من القبائل وشاء بينها ، ومن ذلك قوله تعالى [جزاءُ مَنْ رَبَكَ عَطَاءُ حِسَابًا]⁽¹²⁷⁾ ، أي كثيراً كافياً ، وكل من أرضي فقد أحسب ، وشيء حساب أي كافي ، ويقال أتاني حساب من الناس أي جماعة كثيرة وهي لغة هذيل⁽¹²⁸⁾ .

وربما ذكر الفرق بين لغة قبيلتين دون أن يذكر له تأثيرا في المعنى ومن ذلك :

❖ [... لو نشاء لجعلناه حطاماً فظاً تفكُّرون]⁽¹²⁹⁾ معناه يتَّدَمُون ، وكذلك تفكُّرون وهي لغة لعُكْل الْحِيَانِي أَزْدُ شَنْوَة يقولون يَتَفَكَّرون ، وتميمٌ يقولُ يَتَفَكَّرون أي يتَّدَمُون .⁽¹³⁰⁾

❖ [.... حتى يَلْجَ الجَمَلَ في سَمَّ الْخِيَاطِ ...]⁽¹³¹⁾ أهل العالية يقولون السُّمُّ والشَّهْدُ يَرْفَعُون وتميم تفتح السَّمَّ والشَّهْد⁽¹³²⁾.

سابعاً ❖ المُعَرَّبُ

وقف ابن منظور في مسألة المُعَرَّب وجوده في القرآن الكريم موقفاً وسطاً ، فلم يذهب إلى القول بوجوهه مطلقاً ، ولا قال بأنه غير موجود مطلقاً ، بل قال إن فيه كلاماً غير عربي مهملاً لا تعرفه العرب في كلامها ، لكنها أدخلته من لغات أخرى واستعملته فصار عربياً بالاستعمال ، فهو غير عربي بأصل الوضع عربي بالاستعمال .

وهو مع موقفه الوسط هذا ، لم يبالغ في القول بوجود المُعَرَّب في القرآن ، والذي وجدته له قليل جداً ومنه :

قوله تعالى [حتى إذا جاء أَمْرُنَا وفار التَّتُورُ]⁽¹³³⁾ قال فيه : والتَّتُورُ وجْهُ الْأَرْض فارسي مُعَرَّب ، وقيل هو بكل لغة ، ونقل عن الأزهري أن هذا يؤكّد قول من قال إنَّ الاسم في الأصل أَعجمي فعرّبته العرب فصار عربياً ، لأنَّ أصل بنائه "تر" قال : ولا نعرفه في كلام العرب لأنَّه مهملاً ، وهو نظير ما دخل في كلام العرب من كلام العجم مثل الديباج والدينار والسيندس والاستبرق وما أشبهها ، ولما تكلمت بها العرب صارت عربية⁽¹³⁴⁾.

ومن ذلك قوله تعالى [وأرسَلَ عَلَيْهِمْ طِيرًا أَبَابِيلَ ، تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّنْ سِجِّيلٍ]⁽¹³⁵⁾ فقد قال فيه : وقيل هو حجر من طين مُعَرَّب دَخِيل وهو سِنْكَ رَكْل⁽¹³⁶⁾.

الخلاصة :

مع أن ابن منظور اشترط أن لا يخرج عن الكتب الخمسة التي ذكرها في خطبة كتابه ، وأنه لا يد له في كتاب لسان العرب إلا بالجمع والترتيب ، إلا أن ما سبق بيانه يُظهر بوضوح أن له فيه شخصية ظاهرة ، والاختيار الذي قال إن عمله فيه لم يزد عنه كان في غاية التوفيق ، فقد كان يدي آرائه وتوجيهاته لتفسير الآيات القرآنية ، وقد رأينا كيف خالف أكابر المفسرين في كلمة الوزر من قوله تعالى [ووضعنا عنك وزرك] ⁽¹³⁷⁾. وهذا يؤكّد العلاقة الوطيدة بين اللغة والتفسير وأنه لا يمكن أن يفهم كلام الله بمعزل عنها ، كما يرشد إلى مجموعة من الأقوال التفسيرية المبثوثة في غير كتب التفسير والتي تتخذ اللغة أساساً في الانطلاق ، وهذا ليس في لسان العرب فحسب بل في مجموعة كبيرة من كتب اللغة ، التي لو تم استقصاؤها وتتبعها لحصلنا على كم معتبر من التوجيهات التفسيرية للآيات القرآنية .

هوامش البحث :

⁽¹⁾ لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، تج عبد الله علي الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلي ، دار المعارف ، القاهرة ، دت ور ط ، 7/1 .

وقد صرّح ابن منظور في مقدمته أن كتابه مستفاد من خمسة كتب أساسية وهي تهذيب اللغة للأزهرى ، والمحيط الأعظم لابن سيده ، وصحاح الجوهرى وحاشية ابن بري عليه ، والنهاية في غريب الحديث لابن الأثير .

⁽²⁾ لسان العرب ، 12/1 .

⁽³⁾ المرجع السابق ، 13/1 .

⁽⁴⁾ سورة الرعد ، الآية 29 .

⁽⁵⁾ لسان العرب ، 2732/4 .

⁽⁶⁾ لسان العرب ، 435/1 .

⁽⁷⁾ سورة النحل ، الآية 67 .

⁽⁸⁾ وقد نقل عن ثعلب أن قوله تعالى [... لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ...] نزل قبل تحريم الخمر ، قال : وقال غيره : إنما عن هنا سكر النوم ، وهذه الكلمة في الحقيقة تصلح مثلاً مزدوجاً ، للتدخل والتكامل بين اللغة والتفسير من جهة ؛ وللاختلاف والتعارض من جهة أخرى ، فتعليقه على تفسير السكر بالخل بأنه شيء لا يعرفه أهل اللغة

واكتفاؤه بذلك جعلني أحمله على نوع من التسليم والإقرار ، إذ قد فعل هذا في لفظ التفت كما سبق ، ولأنه ذكره في الشق الآخر بمعنى غير المعنى الأول وأضاف عليه تعليقاً يوحي بأنه ينكره ولا يعده صواباً ، فقد قال بعد ذلك بقليل : " وقيل السَّكَرُ بالتحريك الطعام ، وأنكر أهل اللغة هذا ، والعرب لا تعرفه " . لسان العرب ، 2047/3 .

⁽⁹⁾ سورة الأعراف ، الآية 145 .

⁽¹⁰⁾ لسان العرب ، 4095/6 .

⁽¹¹⁾ سورة الأنفال ، الآية 17 .

⁽¹²⁾ لسان العرب ، 1739/3 .

⁽¹³⁾ سورة المومونون ، الآية 14 .

⁽¹⁴⁾ سورة العنكبوت ، الآية 17 .

⁽¹⁵⁾ سورة آل عمران ، الآية 49 .

⁽¹⁶⁾ لسان العرب ، 1244/2 .

⁽¹⁷⁾ سورة الأعراف ، الآية 54 .

⁽¹⁸⁾ لسان العرب ، 3100/4 .

⁽¹⁹⁾ سورة الملك ، الآية 15 .

⁽²⁰⁾ لسان العرب ، 4535/6 .

⁽²¹⁾ سورة المومونون ، الآية 20 .

⁽²²⁾ لسان العرب ، 2718/4 .

⁽²³⁾ سورة البقرة ، الآية 254 .

⁽²⁴⁾ لسان العرب ، 3855/5 .

⁽²⁵⁾ فقد قال في قوله تعالى لفهم في رؤضة يُهْبِرُونَ سورة الروم ، الآية 15 ، أي يُسْرُونَ وقال الليث يُهْبِرُونَ يُعَمِّونَ ويُكْرِمُونَ قال الزجاج قيل إن الحَبَرَةَ هُنَّا السَّمَاعُ في الْجَنَّةِ وَالْحَبَرَةُ في الْلُّغَةِ كُلُّ نَعْمَةٍ حَسَنَةٌ مُحَسَّنَةٌ وقال الأَزْهَرِيُّ الْحَبَرَةُ في الْلُّغَةِ النَّعْمَةُ التَّامَّةُ ، لسان 1/749 ، وفي قوله لو السَّمَاعُ ذَانِتُ الْحَبَرَةَ سورة الذاريات ،

- الآية... قال : عن ابن عباس الخلق الحسن ، قال أبو إسحاق وأهل اللغة يقولون ذات الطرائق الحسنة ، لسان العرب 758/1 .⁽²⁵⁾
- سورة الرعد ، الآية 31 .⁽²⁶⁾
- لسان العرب ، 3596/5 .⁽²⁷⁾
- سورة النساء ، الآية 172 .⁽²⁸⁾
- والذى قاله إن الاستكاف هو الإباء والامتناع ، لسان العرب ، 4543/6 .⁽²⁹⁾
- سورة يوسف ، الآية 23 .⁽³⁰⁾
- . 3283/4⁽³¹⁾
- سورة الأحزاب ، الآية 72 .⁽³²⁾
- سورة العنكبوت ، الآية 13 .⁽³³⁾
- سورة الأحزاب ، الآية 73 .⁽³⁴⁾
- لسان العرب ، 1001/2 .⁽³⁵⁾
- سورة التوبة ، الآية 47 .⁽³⁶⁾
- لسان العرب ، 1250/2 .⁽³⁷⁾
- سورة النور ، الآية 43 .⁽³⁸⁾
- اللباب في علوم الكتاب ، ابن عادل الدمشقي ، تج / عادل عبد الموجود وعلي معرض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1998 ، 108/10 .⁽³⁹⁾
- ويدل على كمال نشاطهم في هذا الفساد أن صاحب اللباب قال : الواحدى قال : قال أكثر أهل اللغة : إن الإيضاع حمل البعير على العدو ، ولا يجوز أن يقال : أ وضع الرجل إذا سار بنفسه سيراً حيثاً . يقال : وضع البعير : إذا عدا وأوضعه الراكب : إذا حمله عليه .⁽⁴⁰⁾
- المراجع السابق ، 107/10 .⁽⁴¹⁾
- سورة التوبه ، الآية 36 .⁽⁴²⁾
- لسان العرب ، 845/2 .⁽⁴³⁾
- وهذه المسألة محل خلاف بين أهل التفسير ، واللافت أن هذا الذي لم يقبله ابن منظور بالتوجيه المذكور هو مذهب إمامهم ابن جرير الطبرى ، انظر جامع البيان عن تأويل القرآن ، محمد بن جرير الطبرى ، تحقيق د/عبد الله بن عبد المحسن التركى 20/24 ، دار هجر ، القاهرة ، ط 1 ، 2001 م . 439/11 .⁽⁴⁴⁾

⁽⁴⁵⁾ لم يورد اسمه في كل كتابه إلا نحو من أربعين مرة فقط ، وهو رقم قليل جدا مقارنة بأسماء غيره ، ونظرا إلى حجم الكتاب وما جرت عليه عادة المؤلفين من ذكر أسمائهم في كتبهم مرات عديدة .

⁽⁴⁶⁾ سورة الكهف ، الآية 6 .

⁽⁴⁷⁾ لسان العرب ، 4524/6 .

⁽⁴⁸⁾ لسان العرب ، 3120/4 .

⁽⁴⁹⁾ سورة المائدة ، الآية 5 .

⁽⁵⁰⁾ لسان العرب ، 2022/3 .

⁽⁵¹⁾ سورة البلد ، الآية 10 .

⁽⁵²⁾ لسان العرب ، 4346/6 .

⁽⁵³⁾ سورة نوح ، الآية 28 .

⁽⁵⁴⁾ سورة الفرقان ، الآية 39 .

⁽⁵⁵⁾ لسان العرب ، 416/1 .

⁽⁵⁶⁾ سورة الكهف ، الآية 49 .

⁽⁵⁷⁾ لسان العرب ، 3216/5 .

⁽⁵⁸⁾ سورة الملك ، الآية 3 .

⁽⁵⁹⁾ سورة الانفطار ، الآية 1 .

⁽⁶⁰⁾ متفق عليه ، رواه البخاري في كتاب التهجد ، باب قيام النبي الليل ، حدیث رقم 1130 ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دار السلام ، الرياض ، دار الفيحاء ، دمشق ، ط 1 ، 1997 ، 20/31] ورواه مسلم في باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة ، حدیث رقم 2819 ، شرح النووي على مسلم ، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ، دار إحياء التراث العربي بيروت ، ط 2 ، 1992 ، 162/17 .

⁽⁶¹⁾ لسان العرب ، 3432/5 .

⁽⁶²⁾ سورة الروم ، الآية 12 .

⁽⁶³⁾ لسان العرب ، 343/1 .

⁽⁶⁴⁾ سورة محمد ، الآية 28 .

⁽⁶⁵⁾ لسان العرب ، 756/2 .

⁽⁶⁶⁾ سورة يوسف ، الآية 88 .

⁽⁶⁷⁾ لسان العرب ، 296/1 .

⁽⁶⁸⁾ سورة الشعرا ، الآية 90 .

⁽⁶⁹⁾ سورة الشعراء ، الآية 64.

⁽⁷⁰⁾ لسان العرب ، 1853/3 ، وهذا يمكن أن يفيد في مزدوج الدلالة أو ما كان فيه معنى الكلمة يستلزم معنى آخر.

⁽⁷¹⁾ سورة النساء ، الآية 176 .

⁽⁷²⁾ لسان العرب ، 3918/5 .

⁽⁷³⁾ كتب الغريب صنفت في الأصل استقراءً لموارد الألفاظ الغريبة في القرآن وشرحها شرحاً لغوياً يقصد منه إزالة اللبس عن المعنى؛ وكتب المعاجم قصد منها الوصول إلى معاني الكلمات اللغوية بمعزل عن ورودها في نص معين، الأمر الذي جعل معنى اللفظ لغة خادماً للوصول إلى مراد الله في آيات القرآن الكريم في كتب الغريب، وجعل معنى اللفظ القرآني مدللاً على المعنى اللغوي العام في كتب المعاجم .

⁽⁷⁴⁾ سورة البقرة ، الآية 120 .

⁽⁷⁵⁾ لسان العرب ، 4270/6 .

⁽⁷⁶⁾ سورة آل عمران ، الآية 44 .

⁽⁷⁷⁾ وهذا هو المعنى اللغوي لكلمة قلم ، الذي يتبادر إلى الذهن لأول وهلة .

⁽⁷⁸⁾ لسان العرب ، 3729/5 . وقال في قوله تعالى [وَأَعْطِيَ قَلِيلًا وَأَكْدُى] أي وقطع القليل الذي أعطاه ، ومعنى أَكْدُى قطع ، وأصله من الحفر في البئر يقال للحافر إذا بلغ في حفر البئر إلى حجر لا يُمْكِنُه من الحفر قد بلغ إلى الكُدُّية وعند ذلك يَتَطْعَنُ الحفر . 3839/5

ونقل عن أبي عبيد أنَّ أصل الحَبْل في كلام العرب ينصرف على وجوه منها العهد وهو الأمان ، 759/2 .

والأمثلة على هذا في الكتاب كثيرة جداً يصعب حصرها ، وما ذكر مثالٌ يَبْيَّنُ عنها .

⁽⁷⁹⁾ سورة إبراهيم ، الآية 16 .

⁽⁸⁰⁾ سورة الكهف ، الآية 79 .

⁽⁸¹⁾ لسان العرب ، 4807/6 .

⁽⁸²⁾ سورة مريم ، الآية 82 .

⁽⁸³⁾ لسان العرب ، 2564/4 .

⁽⁸⁴⁾ سورة الإسراء ، الآية 79 .

⁽⁸⁵⁾ لسان العرب ، 4616/6 .

⁽⁸⁶⁾ سورة الأعراف ، الآية 169 .

⁽⁸⁷⁾ لسان العرب ، 2887/4 .

⁽⁸⁸⁾ سورة عبس ، الآية 30 .

⁽⁸⁹⁾ لسان العرب ، 2/805.

⁽⁹⁰⁾ سورة المؤمنون ، الآية 24.

⁽⁹¹⁾ لسان العرب ، 5/3429.

⁽⁹²⁾ سورة مريم ، الآية 59.

⁽⁹³⁾ لسان العرب ، 9/82.

⁽⁹⁴⁾ سورة إبراهيم ، الآية 35.

⁽⁹⁵⁾ سورة البقرة ، الآية 143.

⁽⁹⁶⁾ لسان العرب ، 9/4834 ، ثم عاد بعد ذلك بقليل إلى التفرقة بين معنيين في الكلمة الواحدة إذا اختلفت حركاتها وذكر فروقاً بين الوسط والوسط فما كان يَبْيَنُ جُزءاً من جُزءٍ فهو وسط مثل الحلقة من الناس والسبحة والعقد ، وما كان مُصْمِتاً لا يَبْيَنُ جزءاً من جزءٍ فهو وسط مثل وسط الدار والراحة والبُقعة ، وقيل الوسط يكون موضعاً للشيء ، كقولك زيد وسط الدار والوسط اسم لما بين طرفي كل شيء وقيل : تتقول وسط رأسك دهن يا هنئ ، لأنك أخبرت أنه استقر في ذلك الموضع فهو ظرف ، وتقول وسط رأسك صلب لأنه اسم غير ظرف وتقول ضربت وسطه لأن المفعول به بعينه وتقول حررت وسط الدار بئراً إذا جعلت الوسط كله بئراً كقولك حررت وسط الدار . وتجاوز اهتمامه التفرقة بين الكلمتين في الآيتين إلى التفرقة بين الكلمتين في القراءتين ، وعلى ذلك أمثلة كثيرة نذكر منها :

❖ أَيُخْرِيُونَ بِيَوْمِهِمْ [بالتشديد يُهَمُّونَها وبالتحفيف يَخْرُجُونَ منها ويُهَرُّكُونَها . 2/1121] .

❖ لَوْاَنِ يُسْتَعْتِبُوا فما هم من المعتدين [إن ردوا إلى الدنيا لم يَعْمَلُوا بطاعة الله ، وقرأ وإن يَسْتَعْتِبُوا ، أي إن يُستقيلاً ربهم لم يُقلُّهم ، واعتَّبَثَ فلان إذا رجع عن أمر كان فيه إلى غيره من قولهم : لك العتبى . أي الرجوع مما تَكَرَّرَ إلى ما تُحِبُّ . 4/2793] .

❖ أَوْقَالُوا قَلُوبُنَا غُلْفٌ [بالضم " غُلْفٌ " جمع غلاف أي أن قلوبنا أوعية للعلم كما أن الغلاف وعاء لما يُوعَى فيه ، وبالسكون " غُلْفٌ " جمع أغلف وهو الذي لا يعي شيئاً . 5/3282] .

❖ إِنَّهَا بِرِيقَ الْبَصَرِ [بفتح الراء من البريق أي شخص ، وبريق بالكسر معناه فزع . 1/262] .

❖ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ [أي كَذَبُ الْأَوَّلِينَ وافتراءهم [خُلُقُ الْأَوَّلِينَ] شيمهُ الْأَوَّلِينَ وعادتهم . 2/1245] .

❖ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جَهْدَهُمْ [الجهد الطاقة ، والجهد من قولك أجهد جهودك في هذا الأمر أي أبلغ غايتك ولا يقال أجهد جهودك . 1/708] .

⁽⁹⁷⁾ وهذا هو رأي ابن حجر وجماعة من أهل العلم ، انظر جامع البيان ، 23/155.

⁽⁹⁸⁾ سورة المؤمنون ، الآية 20.

⁽⁹⁹⁾ لسان العرب ، 6/4317.

⁽¹⁰⁰⁾ سورة مريم ، الآية 25 .

⁽¹⁰¹⁾ لسان العرب ، 4661/6 .

⁽¹⁰²⁾ سورة الرحمن ، الآية 68 .

⁽¹⁰³⁾ مع أئمته عقب عليه في أكثر من موضع ، ومن ذلك على سبيل المثال قوله : قال الأزهري : العُمران أبو بكر وعمر ، غُلَبَ عُمرٌ لِأَنَّهُ أَخْفَ الاسمين ، فإن قيل كيف بُدئَ بِعُمَر قبل أَبِي بَكَر وَهُوَ قَبْلَهُ وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْهُ فَإِنَّ الْعَرَبَ تَقْتَلُ هَذَا ، يَبْدُؤُونَ بِالْأَخْسَنِ يَقُولُونَ رَبِيعَةً وَمُضَرَّ وَسُلَيْمَ وَعَامِرَ وَلَمْ يَتَرَكْ فَلِيَلاً وَلَا كَثِيرًا ، ثُمَّ قَالَ : " قال محمد بن المكرم : هذا الكلام من الأزهري فيه افتئات على عمر رضي الله عنه ، ولقد كان له غنية عن إطلاق هذا اللفظ الذي لا يليق بحالته هذا الموضع المتش瑞ف بهذين الاسمين الكريمين في مثال مضروبٍ لعمر رضي الله عنه ، وكان قوله غُلَبَ عُمرٌ لِأَنَّهُ أَخْفَ الاسمين يكتفيه ولا يتعرض إلى هُجْنة هذه العبارة ، وحيث اضطر إلى مثل ذلك وأَحْوَجَ نَفْسَهُ إِلَى حِجَةٍ أُخْرَى فلقد كان قيادُ الألفاظ بيده وكان يمكنه أن يقول إنَّ العرب يقدمون المفضول أو يؤخرون الأفضل ، وأما أَفْعَلُ على هذه الصيغة فإن إتيانه بها دل على قلة مبالغاته بما يُطْلِقُه من الألفاظ في حق الصحابة رضي الله عنهم " لسان العرب ، 3105/4 .

⁽¹⁰⁴⁾ سورة البقرة ، الآية 98 .

⁽¹⁰⁵⁾ لسان العرب ، 3453/5 .

⁽¹⁰⁶⁾ سورة التصوير ، الآية 27 .

⁽¹⁰⁷⁾ لسان العرب ، 31/1 .

⁽¹⁰⁸⁾ سورة الإسراء ، الآية 20 .

⁽¹⁰⁹⁾ لسان العرب ، 918/2 .

⁽¹¹⁰⁾ سورة الأنعام ، الآية 82 .

⁽¹¹¹⁾ لسان العرب ، 2756/4 .

⁽¹¹²⁾ سورة الأنبياء ، الآية 43 .

⁽¹¹³⁾ لسان العرب ، 2401/4 .

⁽¹¹⁴⁾ سورة الواقعة ، الآية 15 .

⁽¹¹⁵⁾ لسان العرب ، 4861/6 .

⁽¹¹⁶⁾ سورة مريم ، الآية 46 .

⁽¹¹⁷⁾ لسان العرب ، 4272/6 .

⁽¹¹⁸⁾ سورة الواقعة ، الآية 44 .

⁽¹¹⁹⁾ لسان العرب ، 248/1 .



⁽¹²⁰⁾سورة الفجر ، الآية 20 .

⁽¹²¹⁾سورة النجم ، الآية 32 .

⁽¹²²⁾نسبة في "جمم" إلى أبي خراش الهذلي ، وفيه اللهم ، إلى أمية ، لسان العرب 1/686 و 5/4077.

⁽¹²³⁾سورة التوبة ، الآية .

⁽¹²⁴⁾لسان العرب ، 1237/2 .

⁽¹²⁵⁾سورة البقرة ، الآية 200 .

⁽¹²⁶⁾لسان العرب ، 1248/2 .

⁽¹²⁷⁾سورة النبأ ، الآية 36 .

⁽¹²⁸⁾لسان العرب ، 865/2 .

⁽¹²⁹⁾سورة الواقعة ، الآية 65 .

⁽¹³⁰⁾لسان العرب ، 3454/5 .

⁽¹³¹⁾سورة الأعراف ، الآية 40 .

⁽¹³²⁾لسان العرب ، 2102/3 .

⁽¹³³⁾سورة هود ، الآية 40 .

⁽¹³⁴⁾لسان العرب ، 1/450 ، بل نقل عن الخليل أن أهل اللغة لم يختلفوا في أنهما معربان ، وعزاه إلى الليث تبعاً لصنبي الأزهري ، لسان العرب ، 2149/3 .

⁽¹³⁵⁾سورة الفيل ، الآية 3 - 4 .

⁽¹³⁶⁾لسان العرب ، 1946/3 .

⁽¹³⁷⁾ومما يبين أنه كان لا يغفل الفائدة المهمة قوله في مادة بحر" قال محمد بن المكرم شرطي في هذا الكتاب أن أذكر ما قاله مصنفو الكتب الخمسة الذين عينتهم في خطبه لكن هذه نكتة لم يسعني إهمالها ... لسان العرب (41/4).